Archive of SID

إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثامنة ـ العدد الحادى والثلاثون ـ خريف ١٣٩٧ش/ أيلول ٢٠١٨م
صص ٣٤ ـ ٩

علاقة الشخصية بالمكان المغلق والمفتوح وتشكيل الفضاء الروائى؛ حامل الوردة الأرجوانية نموذجا

حجت رسولى (الكاتب المسؤول)*
زهرا دهان**

الملخص

الرواية كبناء تتشكّل من عناصر سردية تدعمها ومن هذه العناصر عنصر المكان. هناك من اعتبره من الأعمدة الأساسية فى الرواية ومنهم من اتخذه عنصراً فرعياً يخدم باقى العناصر ويقوم بقيامها كالزمن والشخصيات وغيرها من العناصر. تناول هذا البحث المكان وتأثيره على الشخصية فى رواية "حامل الوردة الأرجوانية" للكاتب اللبنانى أنطوان الدويهى. ومن أهداف هذا المقال تبيين كيفية تشكيل الفضاء الروائى عبر حركة الشخصيات فى المكان وصراع التقاطبات الضدية. وتمّ اختيار هذه الرواية كنموذج تحليلىّ لكونها حاملة للدلالات المكانية المكثّفة مثل السجن، وحاول هذا البحث أن يزيح الستار عن غموض مفهوم الفضاء الروائى وكيفية تشكيله. والمنهج المتّبع فى هذا البحث، هو البنيوية التكوينية ومن أهم ما وصل إليه البحث هو أن هذه الرواية أظهرت التقاطبات الضدية المكانية وتسرب هذا التقابل إلى الشخصية كذلك فكان هناك علاقة متبادلة بينهما فى التأثير والتأثر، وأدى إلى تشكيل فضاءين مختلفين (القمع/ الحرية) فى هذه الرواية.

الكلمات الدليلية: الفضاء الروائى، المكان المغلق والمفتوح، الشخصية، رواية حامل الوردة الأرجوانية.

---

*. أستاذ فى اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتى، طهران، ايران h_rasouli@sbu.ac.ir
**. خريجة ماجستير فى اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتى، طهران، ايران
dahhan.zahra@gmail.com

تاريخ الاستلام: ١٣٩٧/٢/١٧ش تاريخ القبول: ١٣٩٧/٦/٢٨ش

www.SID.ir

Archive of SID

المقدمة

إن العناصر الروائية تتضافر فى أرضية خصبة ذات إيحاءات فى الرواية ليلعب كل من الشخصية والزمان والمكان دوراً فى ساحتها الأدبية، وبالحديث عن هذه الأرضية وكيفية تشكيلها وتمهيدها الطريق للفضاء الروائى هو الموضوع الذى كان موضع الخلاف لدى الدارسين فى الرواية العربية الحديثة وتسبب فى الخلط بين مفهوم المكان -المغلق أو المفتوح- والفضاء الروائى. أما بالنسبة إلى المكان فهو حائز على دور مهم فى البناء الروائى ويعد العمود الفقرى الذى يربط أجزاء النص ببعضها البعض، كما يعد الأرضية التى تتحرك عليها الأحداث، (الحمادى، ١٩٩٥: ١٧٦) ويشكل حدود الرواية وأطرها.

أهداف البحث

يهدف هذا المقال إلى التعرف على مفهوم المكان بأنواعه غير المحدودة وعلاقته بالشخصية، بالإضافة إلى التعرف على الفضاء الروائى وتحديد كيفية تشكيله والحيز الذى يأخذه فى تشكيل الرواية بكونه عنصراً سردياً يوازى العمل. وأهمية هذه الدراسة تكمن فى اهتمامها بمفهوم الفضاء الروائى الذى أصبح من المباحث المهمة التى بدأت تنشب أظفارها فى العمل السردى. وحاولت هذه الدراسة أن تزيل الالتباس عن مفهوم الفضاء وجاء هذا المصطلح فى التعريف الغربى لكونه مكاناً غير محدد يحتوى على كل الأمكنة والأشياء ولكن المكان جزء محدد من الفضاء (الظل، ٢٠١١: ٢٦) وهذا يوسع مضمار الفضاء الروائى الذى يحتوى على عناصر سردية ولعله يعتبر حيزا يشمل عناصر العمل السردى.

أسئلة البحث وفرضياته

والأسئلة التى تطرح نفسها فى هذا البحث هى:

كيف تستطيع ثنائية المكان المغلق والمفتوح أن تلعب دورا فى تشكيل فضاءين متقابلين فى رواية حامل الوردة الأرجوانية؟

كيف يؤثر المكان فى الشخصية وهل العلاقة بينهما فى تشكيل الفضاء الروائى متبادلة مؤثرة أم مستقلة؟

www.SID.ir

Archive of SID

وللإجابة عن هذين السؤالين يمكن الاستعانة بفرضيتين:

تقابل المكان المغلق والمفتوح فى الرواية له دور مهم فى تحديد أنواع الفضاء فى الرواية، هذا التقابل بين الأمكنة المفتوحة والمغلقة تسبب بإيجاد فضاءين متقابلين فى الرواية، الحرية/ القمع والأسر لأن التقابل يتطلب وجود المتنافرات التى تؤدى إلى وحدة منسجمة.

يجب على الشخصية أن تكون حركية وفاعلة، مؤثرة فى المكان ومتأثرة منه فى نفس الوقت وتقابل هذا التأثير والتأثر بين العنصرين يربط بينهما حبلا متينا لاتقوى على الانفكاك وهذا الذى يدعو إلى تحول الشخصية أحيانا بسبب المكان والعكس يصدق كذلك؛ حيث يتأنسن المكان بتبع هذه العلاقة المتبادلة.

وتم اختيار رواية حامل الوردة الأرجوانية للكاتب اللبنانى أنطوان الدويهى لأنها تحتوى على دلالات مكانية كثيرة تهيمن على ساحة الرواية وهذا يساعد على تشكيل فضاءات خاصة بها وتنوعت الأمكنة المغلقة والمفتوحة فى هذه الرواية من السجن والغرفة والمقهى والبحر إلخ ... بالإضافة إلى وجود تعدد أبعاد المكان مثل تعدد البلدان التى فتحت الأبواب على مصراعيها للخوض فى غمارها ومعرفة دور الأماكن بأنواعها ودور الشخصية فى خلق فضاء القمع والاستبداد وغيرها من الفضاءات التى تشكلت من مكان السجن المغلق فى هذه الرواية.

رواية حامل الوردة الأرجوانية رواية للكاتب اللبنانى أنطوان الدويهى ودخلت الرواية فى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية لعام ٢٠١٤ م وهى النسخة العربية لجائزة بوكر العالمية للرواية (موقع ويكيبديا)، المعروف عن أنطوان الدويهى أنه روائى وشاعر من مواليد ١٩٤٨م وأكمل دراساته العليا فى باريس من جامعة سوربن حيث حاز على الدكتوراه فى الأنثروبولوجيا من جامعة سوربون وهو يعمل حاليا كأستاذ جامعى فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية فى الجامعة اللبنانية (موقع الجائزة العالمية للرواية العربية arabicfiction.org).

مناهج البحث

والمنهج المتبع فى هذا المقال هو المنهج البنيوى التكوينى، وحاول أن يصب اهتمامه

www.SID.ir

Archive of SID

حـول عنصر المكان كعنصر أساسـي يدعم الرواية والإشـادة بأبعـاده الإيحائية ذات الأوجـه المتعددة وذلـك بالتطرق إلى الأمكنة المتعددة من المـكان المغلق والمفتوح فى الروايـة ومن ثم الانتقال إلى الشـخصية ومحاولة تبيين مدى أهمية دورها وحركيتها فى المكان، بالإضافة إلى تبيين مفهوم الفضاء الروائى والتطرق إلى أنواعه وكيفية تشـكيله ودور التقاطبـات الضدية فيه، لهذا درس الباحث المكان بكونه أهم عنصر فى تشـكيل الفضاء الروائى.

خلفية البحث

بمـا أن الرواية المختارة حديثة النشـر كان من الصعب أن توجد هناك دراسـات حولها والشـيء الوحيد الموجود هو حوار أقامه عبدالرزاق بوكبة مع الكاتب والروائى أنطوان الدويهى فى موقع الجزيرة نت فى قسـم الأخبـار الثقافية والفنية عام ٢٠١٤ فى مكـة المكرمة؛ وموضوع هذا الحوار يدور حول موضوع الرواية بشـكل عام ويتناول موضـوع العالم الجمالى الذى يقابل عالم الاسـتبداد فى الرواية ويعترف الدويهى أنه لا قدرة للطاغية وأجهزته على إدراك هذه الجمالية وإن رفسوا كل الأبواب واستباحوا كل الأمكنة؛ كما أن الحوار كان يدور حول مفاهيم الطاغية والحرية والشخصيات التى مثلتها ومفهوم الموت. لكن لا يمكن تصنيف الحوار على أسـاس عمل تقنى يهتم بعناصر الرواية. أما بالنسبة إلى هذا المقال فقد سعى أن يظهر تفاصيل هذه الأمكنة التى ولجتها قـوات الطاغية وصنعت منها فضـاء للقمع، وتم الاهتمام بالتقنيات الروائية السـردية –الشـخصية والمكان خاصة– ليتضح من خلاله كيفية تشـكيل الفضاء القمعى السالب للحرية. وبالنسبة إلى خلفيات البحث فهناك:

غاستون باشلار ألف كتابا بعنوان جماليات المكان وترجمه غالب هلسا عام ١٩٨٤م، وهذا الكتاب يكاد يكون من أولى الدراسات التى جعلت المكان حجر أساس وصبت تركيزها عليه. وكان كتابه فى عشرة فصول تناول فيها أقسام البيت من القبو إلى العلية، الأدراج، الصناديق، خزائن الملابس ومفاهيمها... منتقلا إلى الأماكن المتناهية فى الصغر والمتناهيـة فى الكبر، كما تحدث حول جدلية المكان المغلق والمفتوح لكنه صب اهتمامه

www.SID.ir

Archive of SID

فى المكان الخاص مثل البيت لهذا لم يتناول الأماكن المتنوعة وبالتالى لم يهتم بالفضاء وأنواعه؛ وأما فى هذا المقال تم تبيين أنواع المكان بالإضافة إلى توضيح التقاطبات التى تولد من تقابل الأمكنة المغلقة والمفتوحة.

كتاب بنية النص السردى لحميد لحمدانى، طبع عام ١٩٩١م، ونوه الكاتب إلى عدم تكامل نظرية الفضاء الروائى وحاول الولوج فيه قائلا: «إن الآراء التى نجدها حول هذا الموضوع، هى عبارة عن اجتهادات متفرقة، لها قيمتها، ويمكنها أن تساعد على بناء تصور متكامل حول هذا الموضوع.» (لحمدانى، ١٩٩١: ٥٣) وهذا يؤكد تضارب الآراء حول المفهوم الذى يحتاج إلى تعمق أكثر وحصر الفضاء فى مفاهيم أربعة، وحاول التمييز بين مفهوم الفضاء والمكان، من دون أن يأتى بنموذج تطبيقى لتقريب المفهوم ولم يتعد توضيحه صفحات عدة؛ لكن الباحثين فى هذا المقال أتوا بنموذج تطبيقى واختاروا رواية حامل الوردة الأرجوانية لتكون نموذجا واضحا للفضاء.

كتاب الرواية والمكان لياسين النصير الذى طبع عام ٢٠١٠م، ويتشابه بالسابقين فى تطرقه إلى الأمكنة المتعددة كالشارع والمقهى...، وتكمن أوجه الخلاف فى تناوله المكان المفترض أو المتخيل ومقارنته بالمكان الموضوعى، وأشار إلى تعدد أبعاد المكان وتناول الثنائيات، لكن هذه الدراسة تكاد تكون انطباعية أكثر من كونها منهجية لكنها مهدت الطريق للدراسات التى تلت وذلك لاهتمامها بالسجن وانغلاقيته أو ما شابهه من الأمكنة. وجاء هذا المقال ليشير إلى أنواع الثنائيات المؤثرة وتقابل المكان المفتوح والمغلق ودورهما فى تشكيل الفضاء الروائى.

مقالة مقاربات نظرية فى مفهوم الفضاء الروائى وبنيته ودوره السردى فى النص الروائى لمحمد عبدالرحمن يونس عام ٢٠١١م، اعتمد الباحث فيها بالحديث عن فضاء السجن وأفق الحريات الضيق فى العالم العربى، ومفهومه حول السجن كان مغايرا لمنطق السجن فى الروايات العربية، وركز على المقهى وحمولاته الدلالية السلبية خلافا لما جاء به النقاد الذين اتخذوا من المقهى مكانا لتجمع الأدباء وأصحاب الثقافة والعشاق، لكنه لم يأت بنموذج تطبيقى واضح كما لم يشر إلى أنواع الفضاء فيها؛ لهذا حاول هذا البحث أن يطبق مفهوم الفضاء فى الرواية.

www.SID.ir

Archive of SID

كتاب الفضاء فى الرواية العربية الجديدة لحورية الظل الذى طبع عام ٢٠١١م، وهو من الدراسات الجديدة حول الفضاء. اختارت الباحثة فى هذا الكتاب رواية مخلوقات الأشواق الطائرة للكاتب إدوار خراط ليكون نموذجا. وقامت الكاتبة فى الفصل الأول بتفصيل مفاهيم الفضاء بأنواعه ودور الرواية الغربية فى دخول هذه المفاهيم فى الروايات العربية الحديثة، وأشارت الكاتبة إلى الإشكاليات التى واجهتها فى تبيينها وذلک لاختلاف ترجمة المصطلح فى العربية ولاختلاط المفهوم والمكان الروائى.

ويتميز هذا البحث فى عدة محاور، أولها تبيين نوعى المكان المغلق والمفتوح، والثانى تبيين اختلاف المصطلح السردى الفضاء الروائى والمكان الروائى، وأهمية الشخصية فى اختراق المكان الروائى بأنواعه وتشكيل الفضاء الروائى، وتبيين التقاطبات الضدية بين المكانية وأثرها فى الشخصية فى تشكيل الفضاء الروائى، والأهم هو تطبيق هذه المفاهيم على نص روائى يزخر بالتقاطبات المكانية والشخصيات المتقابلة.

البنيوية التكوينية

جائت البنيوية التكوينية إثر البنيوية الشكلية التى وقعت فى مزلق الانغلاق على النص دون التوجه إلى الأنساق الثقافية والاجتماعية فى حين أن هذه المحاولة الجديدة التى جاء بها الناقد والفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسى لوسيان غولدمان فى مدة زمنية ممتدة من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٠ فكانت التكوينية محاولة للتخلص من القيود التى استشعر بها الماركسيون فكان لابد من إدماج التفكير الاجتماعى-بما فيه النقد الماركسى- داخل الفكر النسقى (البياتى، ٢٠١٦م: ٤٦٥)، فالبنيوية التكوينية هى محاولة اعتدالية تقوم بالاهتمام بالنص والنسق بالإضافة إلى التوجه إلى الظروف الاجتماعية التى تحول دون انغلاق النص على نفسه.

وأما بالنسبة إلى الأسس فى البنيوية التكوينية فهى فى الواقع ليست إلا امتدادا للاتجاه الفكرى والنقدى الماركسى ولكن غولدمان بث روحا جديدة فيه وطور مفهومه. فيرى غولدمان أن الوصول إلى البنية الدلالية الكلية للنص يتطلب تعمقا وفهما للأحداث الواقعية من جهة ومن جهة أخرى الاضطلاع بالقيم الفكرية المنبثقة عنها

www.SID.ir

Archive of SID

مــن أبعاد ثلاثة هى الحياة الفكرية والنفســية والاقتصادية والاجتماعية التى تعيشــها المجموعــة التى يعبر عنها النص الروائى. (بحرى، ٢٠١٥م: ١٥١) كما أن غولدمان يهتم بمســألة (رؤية العالم) فهو يعتقد بأنه كلما اقترب النص اقترابا دقيقا من التعبير الكامل المتجانــس عن رؤية العالم عــن طبقية اجتماعية يصبح أعظم تلاحمــا فى صفاته الفنية (خرشــوش، ٢٠١٤م: ٤٢)؛ فهو يتناول الموضوعات وما يسودها من ديناميكية يتفاعل فيها الفرد مع المجتمع ولا يمكن إدراك هذا النوع من التفاعل إلا من خلال رؤية العالم. وسنتطرق فى هذا المقال إلى دراســة التقاطبات المكانية وعلاقتها بالشخصية وتشكيل الفضــاء الروائى من منطلق المنهج البنيوية التكوينية ونقوم بتحليل رواية حامل الوردة الأرجوانية لأنطوان الدويهى.

ملخص رواية حامل الوردة الأرجوانية

ســجن البطل فى يوم عاصف ممطر، حين سمــع صوت طرق على الباب و هم بفتحها حتى ألقى القبض عليه بيد ضباط ثلاث ولطالما كان متحيراً من سبب اعتقاله. فهو رجل هادئ، مسالم، مقيم فى عالمه الخاص، شخص لاتشوب حياته شائبة ولكن مع هذا هو لم سيتغرب أن يسجن فى يوم من الأيام. وأمه كانت تردد دائما : لاتخش شيئاً، فما يخشاه المرء يقع فيه؛ وكأنها عالمة بما يجول فى خلده من الخوف. فهو كان شــديد التعلق بحريته والحريــة سمة غالبة فى أعماق ذاته؛ إذ كانت إحدى أهم هواجســه فقدان هذه الحرية. عاد البطل إلى البلاد الشرقية ومدينته بعد طول غياب وعاش وتجول فى مناطق وبلدان غربية مختلفة منها فرنســا وإيطاليا وفلورنســا و...، وأحب طبيعــة هذه البلدان الخلابة والحرية التى تتمتع بها. عند عودة البطل إلى بلدته أحس بهذا التغيير الكبير الذى غير معالم بلدته.

لم يســجن البطل فى زنزانة وإنما ســجن فى غرفة لا تتشابه بباقى الزنزانات؛ إذ كان وحيداً فى هذه الغرفة الواقعة فى حصن الميناء مقابل البحر، فى غرفة فيها خزانه وطاولة وكرســى خشــبى ولكن من دون نوافذ وهو لطالما تعود أن يكون فى بيته نوافذ كبيرة. فى زنزانته كانت هناك لوحة للطاغية معلقة على الجدران وكانت تزعجه بشــدة؛ إذ أصبح

www.SID.ir

Archive of SID

يحس بأن الطاغية قد تسرب إلى الأعماق، أعماق المدينة وأعماق الذات الإنسانية، وهو جالس أمامه وجهاً لوجه ينظر إليه عبر اللوحة فى هذه الغرفة المعتمة وشبح الاستبداد مخيم على المدينة. حامل الوردة الأرجوانية هو اسم البطل المستعار فى رسائله لحبيبته آنا وكان يتحدث فى هذه الرسائل عن الحرية واشمئزازه من الاستبداد، مع أنه لم يكن سياسياً بالمرة وبعيد عن كل ما يمت السياسة بصلة. وحملت هذه الرواية أسامى لمناطق كثيرة من مدن الغرب وهذا يشير إلى اطلاعه الواسع عن الجغرافيا الغربية بالإضافة إلى إضفاء طابع التغريب على الشخصية. فى النهاية بعد اتهام الشخصية بتهمة معارضة النظام كان بيده خياران: إما طريق السجن بلعة إما طريق الكتاب؛ فقد خير بين كتابة قصة حياة الرئيس الطاغية خلال عام و تحرره من السجن بالمقابل إما السجن المؤبد والاختفاء نهائياً.

المكان المغلق والمفتوح

المكان هو أحد المكونات الأساسية التى تبنى الرواية وتعطيه شكلاً حيوياً، إن البعض اعتبر المكان هامشيا ولم يعره كبير اهتمام لهذا انصرفوا إلى باقى العناصر الروائية من الشخصية أو الزمان و...، لكن سرعان ما انقلبت المعايير وأصبح النقاد ينظرون إليه نظرة فاحصة. ومنذ القرن الثامن عشر وبالأحض فى القرن التاسع عشر أصبح وصف المكان ذا أهمية كبيرة حتى يكاد لايحتسب كأرضية بسيطة فقط بل أكثر. (بورنوف وأوئله، ٢٠٠٠: ١٣٥) ولا يمكن للأحداث والشخصيات أن تلعب دورها فى الفراغ دون تحديد المكان، فالمكان ليس خلفية لاروائية فحسب وإنما هو عنصر سردى قائم بذاته لهذا يقوم بدور جلى بين العناصر الأخرى.

ولا يجب نسيان ذلک أنه كلما كان المكان مصنوعا بإتقان يكون صادقاً فى نفس الوقت، وكلما دخل تاثير الخطاب الروائى دائرة الإدهاش و تحول المتخيل إلى واقع حقيقى. (الشهيد، لاتا: ١٧٠) لهذا يجب التفريق بين مفهوم الفضاء والمكان الذى اختلط عند البعض واعتبر المكان هو الفضاء والعكس. والحقيقة أن المكان بقعة سيمولوجية ذات دلالات متنوعة و بخاصة فى الروايات التى تتعدد فيها الأمكنة؛ مما يسمح

www.SID.ir

Archive of SID

للشـخصيات الانتقال من مكان لمكان آخر بأريحية والمكان هو أحد العوامل التى تقوم عليها الأحداث لهذا يرى التأثير المتقابل بينه وبين العناصر الأخرى (الموسـى، ٢٠٠٦: ١٣٢)، وأصبـح تعدد الأمكنة مرافقا لتطور حركة الأحداث (الشـامى، ١٩٩٨: ٢٤٦) وبازدياد الأمكنة الدلالية تزداد فعالية الشخصيات وتطور الأحداث.

وتـرى فى الروايـة الواحدة تعددا فى الأمكنة، منها المـكان الجغرافى الذى تتحرك فيه الشـخصية إلى مكان تحركها كالبيت والمقهى و... فالكاتب لا يأتى بها بشكل عبثى وهـذا يختلف من رواية لأخرى والمكان فى أية رواية نوعان: إما مكان موضوعى وإما مكان مفترض؛ وتتلخص خصائص الأولى فى أنه يبين تكويناته من الحياة وتستطيع أن تشـير إليه، وتجد مواضعه على خارطتها، أمـا خصائص الثانى فهو ابن المخيلة البحت التى تشكل أجزاؤه من الواقع إلا أنه غير محدد وغير واضح المعالم؛ (المحادين، ١٩٩٩م: ٩٢) إذن المكان الموضوعى هو نفسه المرجعى والكتاب بهذه الطريقة إذا ذكر اسم حيٍ معروف فى مدينةٍ ما سيتعرف إليه القارئ بسرعة وهذا يزيد من واقعية الرواية، إذ تصبح العلاقـه بين القارىء والرواية مقربة وقابلة للتصديق أكثر ولكن هذا لا يعنى أن المكان المفـترض غير قابل للتصديق، وبإمكان الـراوى أن يصف المكان المتخيل بذكاء يضفى إليه المقبولية عند القارىء.

إن تعدد الأمكنة فى الرواية ينقسم أيضاً حسب نوع الإقامة. فهناك إقامة اختيارية وإقامة إجبارية؛ وأما الاختيارية فيمكن الإشـارة إلى: فضـاء البيوت، البيت الراقى، البيـت المضاء، البيـت المظلم والبيت الشـعبى، وأما الإجبارية فمنها: فضاء السـجن، الزنزانة، فضاء الفسـحة، فضاء المزار وإن أماكن الإقامة الإجبارية تشكل مادة خصبة بالنسـبة لأكثر الكتاب الروائيين، مثل معالجة (فضاء السجن) بوصفه عالماً مفارقاً لعالم الحرية خارج الأسـوار. (عزام، ٢٠٠٣م: ١٩٦و ١٩٧) وأما بالنسبة إلى البيت فهو كما يقول غاسـتون باشـلار «ركننا فى العالم. إنه، كما قيل مراراً، كوننا الأول، كون حقيقى بـكل ما للكلمـة من معنى.» (باشـلار، ١٩٨٤: ٣٦) وهذه الاختياريـة والإجبارية فى الأمكنة لا تدل على أنه من المسـتوجب أن تكون كل أماكن الإقامة الإجبارية مغلقة، أو الاختيارية مفتوحة، فقد يكون السجن مكانا مفتوحا خلافا لدلالته والحال أنه مؤطر

www.SID.ir

Archive of SID

بجـدران أربعة وذلک لانفتاح الأفكار الثائرة للسـجين؛ إذن إن لعلاقة الشـخصية مع المكان دورا مؤثرا فی تحديد نوع المكان.

أكثر النقاد فی تقسـيمهم للمكان تحدثوا عن تقسـيم المكان الی المغلق والمفتوح. فی البداية عند سماع هذه التسـمية أول شـیء يخطر علی البال هو أنه الانغلاق و الانفتاح هو حسـب ما يؤطره المكان فإذا كان له سـقف أو محدود فهو مغلق أو إذا كان واسـعا و غير محدود فهو مفتوح ولكن يجب الإشـارة إلی أن هذا هو جزء من هذه التسـمية ولايغطی جميع الجوانب. من الممكن أن يسـمی قسـم من المدينة مغلقاً و هذا يرجع إلی طريقة تفكيرهم المحدودة و طبقتهم الاجتماعية.

والتقسـيم الأهم للمكان هو نمطين من الأمكنة، هناک المغلق علی نفسـه و المفتوح، ولكل منهما خصائص وميزات تعكس الطبيعة الفكرية والنفسـية للشخصية التی تعيش فيه. (وتار، ٢٠٠٠: ١٨٨) وأشـار يوسـف حطينی فی كتابه مكونات السـرد فی الروية الفسطينية إلی الأماكن المفتوحة التی تشمل الأحياء والشوارع والساحات وما يشبهها والأماكن المغلقة كالمقاهی وهی أهمها والفنادق وإلخ، وأشار إلی أن الأماكن المغلقة تمنح بشكل عام إمكانية أكبر للعناية بعناصر السرد. (أنظر: نفسه: ٩١-٩٤) لعل تقسيم المكان إلی المغلق والمفتوح يختلف حسـب الرواية، لأنه قد يتحول السـجن بانغلاقه إلی مكان مفتـوح فی رواية لأنه كان مكانا للتخطيط والتفكير والثورة علی الذات لهذا هنا يخرج من انغلاقيته إلی آفاق أخری جعلته مفتوحا ويختلف هذا الأمر فی رواية أخری فيرجع السجن مغلقا علی نفسه.

وصف الأمكنة المتعددة فی رواية حامل الوردة الأرجوانية

تعـددت الأمكنـة فی هذه الرواية القصـيرة مما أدی إلی تشـكيل فضاءات خاصة تناسـب الأمكنـة المذكورة، ومضی جبور الدويهی فی الإكثار مـن وصف المدن الغربية الـتی تنقل فيها البطـل حتی وصلت إلی ٣٥ مدينة من باريس والبندقية ومرسـيليا...، وبالمقابل قلّ وصف المدن الشـرقية فكانت تحصی بعدد الأصابع من أهمها اليمن وبلاد مابـين النهريـن وبر الأناضول وبلاد فارس وعمان. وإنما المـدن كما يقول عبد الرحمن

www.SID.ir

Archive of SID

منيف : «هى البشـــر، هى التاريخ، وبالتالى فإنهـــا الذاكرة الحقيقية لما كان ولما يجب أن يبقى.» (شرف الدين، ٢٠١٠: ٥١) وكثرة المدن الغربية فى هذه الرواية يدل على طغيان ملامح تغريب الشـــخصية الذى ظهر فى حبه للغرب ورفض بلده وكان فســـاد الحكومة وجور الطاغية سببا لهذا الرفض.

إن الروائيين والنقاد فيما قبل كانوا ينظرون إلى المكان باعتباره إطارا ساكنا سلبيا لاحتضان الأحداث والشـــخصيات والزمن، فوصفـــوه وصفاً جامداً. (يعقوب، ٢٠٠٤م: ٢٤٨) لكـــن بمرور الزمن تحـــول المكان من مجرد ديكور إلى محاور حقيقى يحرر نفســـه من أغلال الوصف التقليدى الجامد وذلك عبر إســـقاط الحالة الفكرية للشخصية على المحيط الذى تعيش فيه، (وتار، ٢٠٠٠: ١٨٦) لهذا فإن الراوى فى الرواية يســـقط الحالة النفسية التى يعانى منها تجاه المدن الشرقية وعلاقته معها هى علاقة المتألم لهذا لم يفكر فى التجوال شـــرقا لأنه لا يتصور نفسه متجولا فى مكان وإن كان مدهشا إذا كان مقموعا: «لم تراودنى قط فكرة التجوال شـــرقاً، أكثر من ذلك، أخشـــى سلوك هذه الوجهة، ولا أتصور نفســـى متنقلا فى مكان، مهما كان مدهشاً، إذا كان مقموعاً.» (الدويهى، ٢٠١٣: ١٠) فالقمع هو السبب فى ابتعاد الشخصية عن العيش فى بلاده، فقد تغيرت نظرته إزاء المدن الشرقية فأصبح بلاده مكانا مغلقا لايسعه التحرك فيه وبات أسيرا.

ليســـت المدن هى المكان الوحيد المذكور فى الرواية وإنما هناك أماكن أخرى مهمة فى هذه الرواية: البحر وشـــاطىء المحيط، السفينة والقوارب والمراكب الراسية، المقاهى التى كثر ذكرها، البيت وأثاثه، حصن الميناء، النوافذ، المكتبة، القطار، الجســـر، السجن، متحـــف الطيور والغرفة. ومن أهـــم الأمكنة التى أثرت فى الشـــخصية هو البحر؛ حيث ترى الشـــخصية نفسها مسكونة بالمشاهد البحرية: «لاأدرى لم أنا، منذ شهور، مسكون، على هذا النحو بالمشـــاهد البحرية. فمنذ لحظة اليقظة الأولى يراودنى التخيل أنه وراء النافذة المغلقة يمتد شـــاطىء المحيط. ليس أى محيط، بل المحيط الذى خلف أســـطور سان مالـــو... كى أبقى نفســـى فى جو البحر، وفى منأى من الخـــراب، غالباً ما أكون عند آخر النهار ســـائراً على شـــاطىء النخلتين القريب.» (الدويهـــى، ٢٠١٣: ١٢٥و ١٢٦) وقد يبدو البحر عنصراً جمالياً متحركاً محسوســـاً مؤثرا فى الأحداث والشخصيات؛ (الصالح،

www.SID.ir

Archive of SID

٢٠٠٤: ١٥٤) فنـرى كيف أن الراوى والشـخصيات الأخرى أصبحت مأخوذة بالبحر وكيف اتخذت الشخصية من البحر ملاذا فى ذاكرتها تهرب إليه لشدة تعلقها به ليصبح هو ملجأها وملاذها الوحيد: «ثمة مشاهد فى ذاكرتى قليلة العدد، أسميها "المشاهد المختارة" لها تاثيرها السـحرى على حنايا ذاتى، ومشـهد البحر عند شـارلوية منها. هى لاتؤثر فقـط فى حالات الحلـم و التأمل، بل فى حالة الأوجاع الجسـدية أيضاً...، فحين أكون مثلا بين يدى طبيب الأسنان، مستسلماً لإبره و أزيز آلاته، أغمض عينى طوال الوقت، وأحدق فى مشـهد الشـاطىء عند شـارلويه الذى يضحى ملجأ خلاصى.» (الدويهى، ٢٠١٣: ١٤٩و ١٥٠) إذ أصبح البحر فى هذا الرواية مكانا مفتوحا ومكانا للهروب من وطأة الضغط ومحلا تشعر الشخصية فيه بالأمان. البحر فى الحقيقة و فى الرمز هو وسيلة وصل بين الطرفين، (مقالح، ١٩٩٩: ١٩٩) والبحر هنا حلقة وصل بين مكانين، بين مكانه الحقيقى والمكان الذى يريد أن يكون فيه إذ كما رأيت قد لجلأت الشـخصية إلى البحر محدقة إليه حينما كانت تشـعر بوجع جسـدى وذلك للتخلص من الوضع الراهن كان هناك هروبا من المكان الحقيقى إلى المكان الموجود فى الذكريات السابقة.

انتقل الروای من مكان البحر المفتوح من البحر إلى الأماكن المغلقة أهمها السـجن. فالسجن هو من الأماكن المغلقة كما أنه مكان للإقامة الإجبارية. والراوى اعتقل بسبب يجهله ولطالما أثار حيرته تجاه السـبب فهوكان شخصا بعيداً عن السياسة لهذا كان يظن بأن هذا الاعتقال شيء يشبه العبثية والعشوائية ولم يفهم سببه، وبدخوله السجن اختبر عدة مراحل، ابتداء من اعتقاله، ووضعه فى زنزانة انفرادية ثم استجوابه بطريقة خاصة. ومراحل السـجن السياسى قد تنقسـم إلى ثلاثة أقسام: مرحلة الاستقبال وهو الطريق إلى الزنزانـة والبقـاء فيها مؤقتاً، ومرحلـة التحقيق الذى يرافقـه تعذيب من كل نوع ومرحلة الاسـتقرارالتى تعد المرحلة الأولى من مراحل حرب الأعصاب الذى يمارسه السـجن على المسجون، فيحدثون السجين عن احتمال إعدامه ويسمعونه فى طريقه إلى الزنزانة صراخ المتعذبين. (حطينى، ١٩٩٩: ٨٦و٨٧)

فى هـذه الروايـة تنطبق هذه المراحل على الشـخصية ولكن بصـورة مختلفة قليلاً، فمرحلة الاسـتقبال تكاد تكون نفسـها ولكـن مرحلة التحقيق لايرافقـه أى نوع من

www.SID.ir

Archive of SID

التعذيب الجسدى؛ بل قد تجسدت عملية التعذيب فى انتهاكهم خصوصية الشخصية، وذلک عن طريق قراءة رسائله الشخصية التى كان يتبادلها مع حبيبته آنا حين قال: «كانت تلک القراءة بمثابة عملية تعذيب مارستها مرغماً على نفسى، إذ كان ينتابنى فى كل مقطع، فى كل كلمة منها، الشعور الرهيب بأن جهاز الطاغية تسرب إلى أعماقى، منتهكاً بجهل وفظاظة أقدس ما عندى، أقدس ما عند كل إنسان: خصوصية حياته الداخلية.» (الدويهى، ٢٠١٣: ١١٦) فنظام الطاغية لم يعذبه بطريقة مباشرة بل بطريقة غير مباشرة وذلک عبر مراقبته عن كثب وقراءة رسائله ووضعها أمام ناظره كى يعرف مدى تسرب الطاغية فى حياته وفقدانه استقلاليته، وهذا هو التعذيب لدى الشخصية، هذا التطفل والولوج فى أفكار الشخصية سلبتها الحرية وجعلتها تعانى من الاختناق فى جسدها، فالجسد أيضا قد تحول إلى مكان مغلق يحبس الإنسان، كل هذا جعل مجال الفضاء أضيق.

وتختلف المرحلة الثالثة -أى الاستقرار- كثيراً، فالسجين كان محجوزاً فى غرفة وكان يعامل بطريقة مهذبة وهذا ما أشعره بالراحة النفسية حين تواجده فيه؛ إذ لم يكن يراه سجنا بل مكانا مريحا اسمه حصن الميناء: «أدركت بعد ذلک أنى معتقل فى "حصن الميناء" فارتاحت نفسى قليلاً إلى المكان الذى لم أكن أتخيله سجناً قط.» (الدويهى، ٢٠١٣: ٢٤و٢٥) فالشخصية بعد مرور مدة من الزمن لم تعتبر هذا الحصن سجنا بل تآلفت معه حيث أصبح بينها وبين السجن تواشج عميق وهذا الأمر أخرج السجن من انغلاقيته المطلقة. وتعودت هذه الشخصية بعد أشهر أمضتها فى هذا الحصن على الغرفة التى كانت دون نوافذ وأصبح المكان مألوفاً بالنسبة لها لأنه كان قريباً من البحر وأصوات هدير أمواجه من ناحية وزيارة أمه لها كل أسبوع واحترامه من قبل الحراس من جهة أخرى أعطت الشخصية السكينة، وهكذا اعتادت على حصن الميناء فكان الحراس يعاملون السجين معاملة لا يعامل فيها أى سجين آخر؛ معاملة تقف على حدود الاحترام؛ (نفسه: ٨٦) وتحول إلى مكان مريح يعطى نوعا من الاستقلالية لساكنه وهو مكان منيع يتم فيه الحماية فهو فى العادة يجب أن يكون مغلقا لكنه بإعطائه هذه الألفة للشخصية تحول إلى مكان مفتوح. وبالنظر إلى ما تحمله مفردة الحصن من المعانى فهى

www.SID.ir

Archive of SID

تشير إلى التاريخ والمنعة وعلامة القوة والاستقلالية، (عبيد، ٢٠١٣: ٦٦) فهناک ترابط بين المكان-الحصن- والحالة النفسية للشخصية وهذه العلاقة بينهما أدت إلى تغيير دلالات المكان المغلق إلى المفتوحة.

دور الشخصية فى المكان وتشكيل الفضاء الروائى

تعد هذه الرواية من الروايات الذاتية وتتكون من أبطال رئيسيين :السجين الذى يقوم بسرد الرواية و لم يصرح هذا الراوى باسمه ولا فى مكان واحدٍ من الرواية ويشارک هذا البطل، الأم البالغة من العمر خمس وثمانين عاماً وشخصية رانيا التى أحبها فى الماضى و عادت لتزوره فى سجنه يوماً فى الأسبوع. من الشخصيات الفرعية يمكن الإشارة إلى شخصية آنا حبيبته التى انفصل عنها مع حبهما الشديد لبعضها و عملاء السجن وشخصية هناء المحققة معه، التى تعمل لحساب الطاغية.

الدور المهم الذى تلعبه الشخصية على أرضية المكان والتأثير والتأثر بينهما استدعى التطرق إلى دور الشخصية وحركيتها فى المكان ودورها فى الفضاء الروائى. هذا ما جعل الناقد فيليب هامون أن يصف البيئة وتأثيرها على الشخصية لأن المكان يحفز الشخصية على القيام بالأحداث، كما أن وصف بيئة ما يعنى وصف مستقبل الشخصية. (عزام، ٢٠٠٣: ١٩٤) وهذه البيئة الاجتماعية هى التى يؤكد عليها لوسيان غولدمان كثيراً فى كيفية تأثير هذه البنية الخارجية على النسق النصى؛ وهذا يؤكد دور الشخصية فى تغيير معالم المكان وبالعكس، فحينما توصف شخصية هذه الرواية بأنها كثيرة التجوال وهى لا ترغب كثيرا ببلدها بوصف البلاد الشرقية التى تتدمر طبيعتها يوما بعد يوم و تحل البنايات محل هذه الطبيعة التى كانت خلابة فى الماضى فهو يصف مستقبل هذه الشخصية وإحساسها بالنسبة إلى هذا المكان الذى لم يعد كما فى السابق.

وبالنسبة إلى مفهوم الفضاء فهو سحاب يغلف الرواية بأكملها ويؤثرعلى الحالة التى تشعربها الشخصيات، فإن غطت الرواية هالة من الضبابية والسوداوية قد يخرج منها شخصيات متأثرة ومؤثرة فيها فى نفس الوقت. وفى رواية "حامل الوردة الأرجوانية" يوجد أكثر من فضاء واحد فى الرواية لكن يبقى ويطغى فى النهاية فضاء واحد ألا وهو

www.SID.ir

Archive of SID

الفضاء الذى شكل معالمه الاستبداد وعوامل الحاكم الجائرعلى المجتمع والشخصية نفسها، والشخصيه فى الرواية لاتقف مكتوفة الأيدى بل تحاول اختراق هذا الفضاء الظالم، وترى الشخصية أحيانا تعامل المكان معاملة أى كائن بشرى مثل أن تبعث عليه التحية والسلام: «كما فى كل مرة، أول ما سأفعله اليوم هو التوجه إلى نهر السين سيراً على القدمين لأتأمله من فوق أحد جسوره. كأنه هو الشخص الأقرب إلىّ فى هذه المدينة، الذى علىّ إعلامه بوصولى قبل الانتقال إلى أمكنة أخرى. غالباً ما أضمن رسائلى إلى أصدقائى المقيمين هنا، هذه العبارة: أنقل سلامى وشوقى إلى صديقى نهر السين، وأنا أعنى ذلك تماماً.» (الدويهى، ٢٠١٣: ٧٤) ومعاملة نهر السين مثل كائن بشرى يرفع من مستوى المكان ويظهر أهميته حتى أنه وصل إلى درجة الأنسنة وهذا ليس ترابطا بين العنصرين وإنما إدغاما كاملا.

فقد عومل نهرالسين معاملة الإنسان والصديق وأحيانا يكون الباعث فى هذه المعاملة هو حنين الشخصية إلى هذا المكان بالذات كى يعتبر المكان إنساناً يخاطبه ويشتاق إليه ويحبه ومن الممكن أن يكون أقرب إليه من الإنسان نفسه. وإن الخبرات المتكررة فى مكان معين، تساعد فى تطوير إحساس ما بالاستمرارية، وهذا الإحساس العميق بقوة المكان يتحقق بانتماء الشخصية إلى أماكن فى الماضى وحنينها إليها فالذكريات والأحلام وكذلك المعلومات المتعلقه بأماكن معينة، تفيد فى تأكيد إحساس المرء بذاته وفى تأكيد هويته. (الربيع، ٢٠٠٥: ١٥٨) كما أن الشخصية قد تكره المكان بفقدان من تحب و يتحول المكان إلى فضاء سوداوى ومتشائم، ففى هذه الرواية لم تعد الشخصية تطيق العيش فى باريس بعد رحيل حبيبتها إلى أورنفيل: «بعد رحيلها إلى أورنفيل لم أعد بدورى أطيق الإقامة فى باريس. صرت محاطاً بفراغ هائل وسط المدينة المتلألئة الأضواء، المفعمة بالاحتمالات، الزاخرة بالوعود. بات هذا العالم الذى ستغيب فيه آناعن مدينة السين صحراء شاسعة تمتد أمامى لن أقوى على اجتيازها قط.» (الدويهى، ٢٠١٣: ١٤٦) وهكذا يتناسب الزمان والمكان الضبابيين، مع الحالة السوداوية والتشاؤم الذى اتسمت بها الشخصيات الرمزية، (أبوسالم، ٢٠٠٤: ١٩٠) وهنا تظهر فاعلية الشخصية (آنا)-حبيبة السجين السابقة- وتأثيرها فى أبعاد المكان

www.SID.ir

Archive of SID

ابلـذى يعد أحد المكونات الاجتماعية؛ فبعد رحيـل الحبيبة تحول المكان إلى صحراء شاسعة يصعب اجتيازه وهذا يشير إلى الوقت العصيب الذى ستمضيه إثر ابتعادها عنها وحتى الشـخصية لم تعد تشـعر بالتفاؤل الذى تخلقه أضواء المدينة ولاترى سـوى هذا السـواد والفراغ الهائل، فرحيل الحبيبة من مكان إلى آخر تسبب بخلق فضاء غارق فى الضيـاع، فباريس المعروفة بمدينة الأضواء تحولت إلى مكان غراق فى البؤس والضياع ولم تعد تعنى باريس شيئا بالنسبة إليها وهذا يؤكد مدى فاعلية الشخصية فى المكان.

وأحيانا يحصل العكس فقد يتحول الإنسـان إلى مكان يحمل دلالات؛ إذ تحولت آنا الحبيبـة إلى البحر وأصبحت تعبر عن كل ما يحمله البحرمن طاقات دلالية. فهى تمثلت فى البحر وتسرب جسد آنا فيه وإن لم تنعكس صورتها التى تجسدت فى مخيلة الشخصية فى البحر ولم ير فى البحر سوى آنا لما تمثل هذا المشهد الجميل النورمانى للبحر عنده وإلا لكان مشـهدا عاديا لاغير. (أنظر: الدويهى، ٢٠١٣: ١٥٠) فقد تجلت الحركية فى دخول الشـخصيات المكان أو تحول الشـخصية نفسها إلى مكان ويعد هذا التبادل فى الأمكنة عاملا فى تشكيل الفضاء، فكثرة حنين السجين إلى الحبيبة جعله يراها تتجسد فى البحر الذى يراه خلف القضبان. وهذا الأمر يفصح عن كثير من المعطيات التاريخية والنفسية والاجتماعية عن طريق إلقاء تأثيراته على الرواية وهذا بالتالى يؤدى إلى رؤية شمولية فى العمـل القصصى. (الزكرى، ٢٠١٢: ٢٠١) فقد أعطت هذه الرواية نظرة لما قد يحمله فضاء السـجن من دلالات كما أنها توجهت إلى الحصن الذى شيد فى العصر المملوكى كما سبق الإشارة إليه، وألقى نظرة تاريخية فى حقبة مهمة من الزمن.

أنواع الفضاء فى الرواية (فضاء القمع، الاستبداد وفقد الحرية)

وأما بالنسـبة إلى الفضـاء الروائى فقد تم الاهتمام بـه فى الرواية الغربية فى القرن الثامـن عشـر وكانت الحـرب العالمية الأولى والثانية محفزا للانشـغال بـه وذلك إثر ماحصل من انتكاسات فى فضاء الواقع وتغييرات مابعد الحرب وتطور العلوم والفنون، الأمر الذى أحدث شـرخا بين الفضـاء الروائى والفضاء المرجعـى، وظهر مع الرواية الفرنسية الجديدة (الظل،٢٠١١: ٣٠) لكن الفضاء تطور فى الرواية العربية وذلك نتيجة

www.SID.ir

Archive of SID

تغيير آليات اشتغال الرواية وتجديدها والاهتمام بالتراث العربى والإطلاع على الثقافة الأجنبية خاصة الفرنسية، (نفسه: ٤٩) فكان للغرب يد فى دخول هذا المصطلح إلى الرواية العربية الحديثة، ومع هذا يختلف الفضاء الروائى بين الرواية العربية والأجنبية، لأن المكان هو الحجر الأساس فى تشكيله ويختلف المكان المرجعى كذلك من رواية لأخرى وتختلف الإيحائات بتبع هذا التغيير فى الأمكنة وعندما أخذت الرواية العربية المفهوم من الغرب فهى لونته بطابعها العربى وأعطته مذاقا خاصا وطورت مفهومه.

قسم أكثر النقاد الفضاء إلى أربعة أنواع : الفضاء الجغرافى، الفضاء النصى، الفضاء الدلالى، الفضاء كمنظور أو كرؤية. المقصود من الفضاء الجغرافى هو الحيز المكانى الذى يؤطر الرواية وتوجد فى كل رواية إشارات جغرافية وهذا يجعل تصوره سهلا للقارئ وأكثر قربا إلى ذهنه ومن المناسب أن يتم التأكيد هنا أن دراسة الفضاء الجغرافى لايمكن أن تنفصل عن إحالاته المرجعية من الواقعية والتاريخية والاجتماعية و...، (حطينى، ١٩٩٩: ٧٥) ويتولد عن طريق الحكى ذاته فهو فضاء يتحرك فيه الأبطال، أو يفترض أنهم يتحركون فيه، (لحمدانى، ١٩٩١: ٦٢) ولعل هذا النوع من الفضاء يعادل ذكر البلاد المرجعية التى تتحرك فيها الشخصية، فالفضاء الجغرافى فى هذه الرواية يتمثل عامة فى الدول الغربية والأوروبية وباريس خاصة.

والفضاء النصى هو الحيز الذى تشغله الكتابة ذاتها يعنى كيفية طباعة الأحرف على مساحة الورق ونوعها وحجمها وأيضاً يهتم بالغلاف الذى يؤطر الرواية، فالغلاف له دلالات جمالية قيمة وكل هذه المظاهر تدخل فى تشكيل المظهر الخارجى للرواية. (عزام، دون تا: ٧٢) هذا النوع من الفضاء يعتبر خارجا عن فضاء اللغة الذى يشكل الفضاء الداخلى للرواية، فهو يتضمن الشكل ليصل عبره إلى المضمون، مثل تصميم غلاف الرواية وتغليفها بلوحة خاصة أو صورة معبرة عن النص، والكاتب فى هذه الحالة لا يصمم الغلاف عشوائياً دون هدف دلالى وإنما يصبح الغلاف من أهم الدلالات السيمولوجية باللون والرسمة التى طبعت عليه ليعبر عن الدلالة النصية عبر هذه العتبة. وأما الفضاء الدلالى فهو يشير إلى الصورة التى تخلقها لغة الحكى وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية. (لحمدانى، نفسه: ٦٢) هذا الفضاء هو الأهم فى الفضاء الروائى

www.SID.ir

Archive of SID

وذلـک بمـا يفضيه من دلالات وصـور مجازية خارجة من لغة الحكى نفسـها ويتحكم الفضاء باللغة داخل الرواية التى تخلقه، منها فضاء القمع فى الرواية.

غالباً ما يرتبط مصطلح القمع بأسـباب سياسـية وكان القص فى هذه الرواية يخص هذا الموضوع إلى حد كبير لأسـباب سياسـية، فمخالفة الشخصية للسلطة سيتسبب لها بعقـاب من قبل الطاغية ومن مظاهر العقابات يمكن الإشـارة إلى: السـجن، والخوف الدائـم والعقوبات وحتـى التعذيب، (حسـين، ٢٠٠١: ٣٠٧) وكل مكان ضيق يومىء بالتأزم والاختناق ومن هذه الأماكن المتأزمة هو السـجن. (معتصم، ٢٠٠٤: ١٥٢) فإذا كان فضاء السجن فى مهمته الأساسية سهيدف إلى حماية الدولة والمجتمع من كل الذين يخترقون قوانين الدولة ويشكلون خطراً عليها وإذا كانت من مهماته، إصلاح الخارجين عن القانون وتهذيب نفوسهم، فإنه فى الرواية العربية دلالات مغايرة وحمولات إيدولوجية جديدة، فالسجناء فى هذا الفضاء قلما يوجد بينهم مجرماً، يدخلون أصحاء سليمى العقل ويخرجون محطمين مهمشـين وفاقدين قدراتهم الجسدية والنفسية. (يونس، ٢٠١١: ٢٣) كما أن الضيق يضغط على الشخصية وتفكيرها فتحاول الشخصية كمحاولة للهروب من ضغط السـجن أن تنعزل وتفر إلى داخلها وهذا يجعل منها شخصية منعزلة عن المجتمع وهذا يتسبب بنوع من الانغلاق على الذات وسجن الذات.

وفى الرواية نرى السـجين يحس بوطأة السـجن عليه وبهول فقدانه الحرية، الحرية التى لطالما كانت ترافقه منذ الطفولة. حرية جبلت فى أعماقه ولم يتصور نفسه يوماً فاقداً لهـا، فيحس بهـذا الثقل والكبت الذى أصبح يخترق أعمـاق كيانه: «فى بعض الأحيان كانت حوارات السـجن تصل إلى المناطق القصية المظلمة فى خوالجنا، مما لا نعيه دوماً، أو مما ندفنه و ننسـاه، فلا نبوح به لأحد ونكاد نخفيه عن أنفسـنا.» (الدويهى، ٢٠١٣: ٦٧) فهذه الحوارات فى السجن تدخل أعماق كيان الشخصية بحيث تؤثر فيه وتعشعش فى دواخلها حالة من السـوداوية والتشاؤم. وتارة أخرى توجد دلالات مغايرة للسجن فيصبح مختلفا عن كل السـجون وذلک بسـبب معاملة السجين بطريقة جيدة؛ فالضباط عند احتجازه وضعوا الشخصية فى غرفة ولم يضعوه فى زنزانة كباقى الزنزانات والدليل على هذا وجود سـرير وكرسى وطاولة وحتى خزانة خشبية وأيضاً عند دخولهم لغرفته

www.SID.ir

Archive of SID

يطرقون قبل الدخول ويستأذنون، وهذا يوحى بشىء من الألفة وتقليل وطأة السجن الذى تراها جلية فى باقى الأماكن.

إذن الشخصية شعرت ببعض الألفة إثر هذه المعاملة من قبل الحراس و احترامهم لها، وحولت الشخصية السجن إلى مكان اعتيادى كأنها تعيش فيه ولهذا لم تعتقد بأنه سجن وإنما غرفة. ولطالما تواجد المكان المغلق عند بعض الروائيين إثر وضع اجتماعى خاص عاش فيه أبطال لهم سمة اجتماعية-سياسية، فما أن وضعوا فى هذه الأمكنة ما كان لهم أن حولوها إلى أماكن اعتيادية بالإمكان العيش فيها والتآلف معها بتفكير منهم أنها ليست سوى مرحلة عابرة، (النصير، ٢٠١٠: ٤٥و٤٦) لكن مع هذا تشعر بفضاء معادى استبدادى منذ السطور الأولى باعتقال البطل ويتطور هذا الفضاء السالب للحرية مع تطور الأحداث ليطغى فى النهاية على كل الفضاءات الموجوده فى الرواية و ترى أثره بارزا فى المجتمع.

إن المكان الذى عاشت فيه الشخصية عرف منذ قدم الزمان بالجمال وأعطاه الكاتب فى الرواية أسماء "ملک الجبال وحامل عرش القيامة" وأظهر أهميته التاريخية، وحمل هذا المكان فى النهاية تسمية "سقوط الملاک" وذلک بسبب هيمنة الفضاء الاستبدادى، أصبح سقوطاً لأسفل الدمار وهذا هو التشويه الذى أصاب هذه الأرض بسبب ما أحاط بها من الجذام وأصبح كل ما فى هذه الأرض وجماليته تتآكل يوما بعد يوم وتمحى وتندثر. والأخطر من ذلک هو أن شبح الاستبداد لم يكتف بالولوج فى المجتمع فقط بل حاول الدخول إلى الذات الإنسانية: «لكن الأخطر من ذلک كله، وهو ما أذهلنى وأحزننى إلى أبعد حد، أن شبح الاستبداد لم يلج المؤسسات فحسب، بل تسرب إلى الإنسان أيضاً. أمر لايصدق.» (الدويهى، ٢٠١٣: ١٦٦) وكانت الشخصية تظن بأن الإنسان المتمسک بحريته هو إنسان متسامح له قيم راسخة وهذه القيم توجد فى كل إنسان طبيعى ولكنه حالما رجعت إلى وطنها رأت أن وجود مثل هذا الإنسان يصعب العثور عليه، فتغير الإنسان بإحاطة الفضاء الاستبدادى عليه وطغى، فأصبح إنسانا يباع ويشترى، لينتهى به ليكون مجرد خادم للنظام السائد. ولكن الشخصية حاولت رفض الاستبداد برفضها الخضوع لجورها وفضلت الموت على الخنوع أمام الظلم وكانت عاقبتها السجن مدى

www.SID.ir

Archive of SID

الحياة لأنها لم تقبل أن تكتب حياة الطاغية الذاتية فى كتاب وجابهت الحكومة والحكم ولكن مع هذا فهى عبرت عن بلادها فى النهاية بسقوط الملاك لأنها شعرت بتدمير هذه البلاد العريقة.

التقاطبات المكانية وأثرها على الشخصية

إن القراءة الكفيلة بالكشف عن دلالة الفضاء الروائى يجب أن تبنى على مجموعة من التقاطبات المكانية وبتبعها مفارقات فى الشخصيات لتظهر غالباً على شكل ثنائيات ضدية لتعبر عن العلاقات الحاصلة من اتصال الشخصيات بهذه الأماكن. وهذه التقاطبات لاتلغى بعضها بعضاً، وإنما تتكامل لتقدم مفاهيم تساعد على فهم عنصر المكان فى الحكى الروائى. (انظر: عزام، ٢٠٠٣: ١٦٤-١٩٦) وتكثر فى الرواية هذه التقاطبات المكانية التى تؤثر على الشخصية، فمنها مشهد اشتداد الظلمة فى حصن الميناء واحساس الشخصية بالاختناق فتشعر بأنها ترزح تحت وطأة فقدانها الحرية، كما أن جهلها لسبب اعتقالها يزيد من اختناقها فى الحصن الذى اعتبر كغرفة مقفلة وخالية من النوافذ: «يهبط المساء على حصن الميناء وتغشى الظلمة الكوتين المستديرتين، إنه ليل آخر يحل على فى سجنى لابد لى من اجتيازه. أرزح تحت وطأة فقدانى حريتى، وجهلى المستمر لسبب اعتقالى وغموض مصيرى، إضافة إلى اختناقى فى هذه الغرفة المقفلة، العديمة النوافذ...وأستمد قوتى من حياتى الداخلية ومن قدرتى على الصمت، ومن هذه العزلة التى هى عزلتى، حيث يحيط بى ويحرسنى أشخاص غير مرئيين يخترقون الجدران.» (الدويهى، ٢٠١٣: ٢٩)

ففى المشهد السابق تحاول الشخصية أن تتحمل وطأة الاختناق فى هذه الغرفة المقفلة والمظلمة وفتحاول الهروب إلى العوالم الداخلية الخاصة. فالعلاقة بين المكان والذات هى علاقة عكسية أحياناً، فكلما انغلق المكان تتسع الذات فى انفتاحها على المتخيل والنفس (عدوان، ٢٠٠١: ١٠٧) ويتمثل هروب الشخصية إلى كوامن فى مقطع آخر من الرواية وذلك حين يجن الليل عليها فلا تعود ترى أمامها سوى الظلام الحالك ولوحة الطاغية المعلقة أمامها على الجدار وهكذا تحس الشخصية بأن ظل الاستبداد يحاول

www.SID.ir

Archive of SID

الدخول إلى كوامنها (أنظر: الدويهى، ٢٠١٣: ٤٧) وترى حصن الميناء يتحول إلى مكان يحمل دلالات المفارقة، فترى الشـخصية أحيانا تشعر بالألفة والراحة فى حصن الميناء الذى سـجنت فيه، وتارة تراها تشعر باسـتبدادية الفضاء القمعى والوطأة الثقيلة التى ترزح تحتها، الوطأة التى جعلتها تهرب لعوالمها الداخلية لتنسى المكان-السجن- الذى وضع فيه.

كما أن للثنائيات الضدية دور فى اختراق وتشكيل الفضاء الروائى ولابد من القول أن الرواية تشـكلت من ثنائيات ومفارقـات كثيرة أولها صراع المكان المفتوح والمغلق والانتقـال من مكان مغلق كالغرفة إلى مكان مفتـوح كالبحر والعكس. وهناك كذلك صراع ضدى قائم فى ذات الشـخصية، وهذا ما رآه البطل فى شخصية هناء المحققة التى تنتمـى إلى حكومة الطاغية فهو رأى فيها: «هذا الشـعور الخـاص، الغامض، المنبعث مـن حضورها، تعبر كلها عن رؤية واحدة،...قائمة على ثنائية مطلقة لاهوادة فيها، هى ثنائيـة القاتل والمقتول، والراعـب والمرعوب، والجلاد والضحيـة. فإما أن تكون هذا وإمـا تكـون ذاك، وما من خيار ثالث بينها أو خارجها قط فى أى مكان وأى زمان...، كانت تبدو هذه المرأة فى بعدها الواحد، كأنها النقيض الأمثل للبحر الممتد...هى النقيض الأمثل لامرأة مثل شـخصيتى (رانيا أو آنا)، الشبيهتين بالبحر.» (الدويهى، ٢٠١٣: ٩٨) وهذا المقطع من الرواية زاخر بالتقاطبات الضدية فى المكان وأثرها على الشخصية؛ إذ تتواجد شخصية متنافرة إما تكون قاتلة أو مقتولة وهذه الثنائية ترجع إلى المكان المغلق والتفكير المتزمت الذى عاشت ونمت فيه. كما أنه يوجد تضاد بين شخصية هناء المغلقة على ذاتها وبين شـخصيتا آنا ورانيا الشـبيهتين بالبحر الـذى يعبرعن الفضاء مفتوح، ويمكن تلخيص صراع التقاطبات الموجودة كالآتى: هناء الآتية من مكان متزمت ومغلق ومتخلف/ آنا ورانيا الشبيهتين بالبحر وانفتاح ذاتهما.

وبسـبب هذه التقاطبات تنتهى الروايـة فى الأغلب إلى فضاءين متقابلين من المغلق والمفتوح. وحينما عرف الراوى التهم التى ساقوها إليه بأنه مخالف للحكومة و له نشاط سياسى ضدهم، فى الآخر أعطوه خيارين، وهذان الخياران أيضاً يجسدان الفضاء القمعى: «إمـا طريق السـجن بلعة، وإما طريـق الكتاب؟. خيار موهوم لايـؤدى إلى أى منفذ.

www.SID.ir

Archive of SID

فالطريقان يقودان إلى المكان نفسه. لقد أطبق الطاغية على فعلقت فى شبكة عنكبوته، التى لاخروج لى منها بعد اليوم» (نفسه: ١٨٥) فالخياران هما إما أن يسجن إلى الأبد أويقتل وإما أن يكتب سيرة الطاغية الذاتية وهو فى البداية لو أراد التعامل مع الطاغية لقبل عرضه فى كتابة سيرته فى مجلته سابقاً، لكن نفسه المحبة للحرية رفضت ذلک ومازالت رافضة له، فالبطل بقوله للحراس بأنه سيكتب الكتاب، لا يدل على خضوعه لأمر الحاكم، هذا مجرد تمويه فقط ليكون لديه مزيداً من الوقت لينشر كتاباته وأفكاره عن قمع الطاغية بعد موته. فهنا أيضاً يتضح انغلاق الطريقين الذين لايؤديان إلى أى طريق مفتوح فهو إذا لم يكتب فسيبقى فى الزنزانة أو سيؤول به الأمر إلى مكان أكثرانغلاقا، ألا وهو القبر وعاقبته الموت، وإذا كتب الكتاب فقد خان نفسه والبلاد وسلب حرية ذاته ولوث ذاته النقية؛ فهذا انغلاق على الذات من جهة أخرى. ولكنه اختار عدم كتابة ما يريده الطاغية وإنما استغلال ما تبقى له من الوقت ليفضح جرائم الاستبداد والقمع، وهذا هو السبيل لتحرر أفكاره لفضاء رحب ومفتوح عبر طباعة كتابه.

النتائج

لابد من القول إن الرواية تشكلت من ثنائيات ومفارقات كثيرة أولها تقابل المكان المفتوح والمغلق والانتقال من مكان مغلق كالغرفة إلى مكان مفتوح كالبحر والعكس. ولم تكتف بالمكان فحسب وإنما تخطت الأطر المكانية ونفذت فى الشخصية كذلک وترى تقابل الشخصيات المتنافرة مثل (الشخصية /الطاغية) و(آنا ورانيا / هناء) وهذا أدى إلى تشكيل فضاءين متقابلين فى هذه الرواية (فضاء القمع /الحرية)؛ إذ يوحى فضاء القمع بالتأزم والاختناق خلافا للفضاء الثانى الذى يعبر عن فضاء مفتوح فقد كان البحر مكانا يعادل الحرية فى الرواية وكلما ضاقت الحياة بالشخصية حاولت الهروب من وطأة الاستبداد إلى البحر ليكون ملاذا لها وهذا التقابل بين المتنافرات أدى إلى إيجاد وحدة منسجمة فى الرواية والذى ظهر فى الصراع القائم بين الأمكنة والأشخاص.

كانت العلاقة بين الشخصية والمكان متقابلة فى التأثير والتأثر، ونجد هذا التلاحم بين العنصرين فى الرواية ظاهرا حين كانت الشخصية تهرب إلى دواخلها لتفر من

www.SID.ir

Archive of SID

وطأة السجن والاختناق من الأسر فهى كانت تحاول الهروب إلى عوالمها الداخلية وكانت تتخيل نفسها وهى تتحدث مع البحر الذى حمل دلالات المكان المفتوح والحرية؛ فهذه العلاقة بين المكان المتأزم والهروب إلى الذات هو نفسه تأثير المكان على نفسية الشخصية، وهذه العلاقة متبادلة بين العنصرين.

الفضاء المغلق هو الحاكم على جو الرواية وهذا بنوعٍ ما يخدم منطق الرواية وتسلط فضاء الاستبداد والقمع على الشخصية خاصة والرواية بجملها. وكان مصير الشخصية فى مكان مغلق أيضا؛ فكان لها خيارين إما طريق السجن والموت أو كتابة حياة الرئيس الذاتية وتلويث الشخصية نفسها وحريتها؛ فالشخصية معلقة بين الحياة والموت، وإن كتبت لصالح الطاغية نجت من الأسر لكنها ستأسر نفسها المحبة للحرية والعدالة وإن خالفت الطاغية هلكت كذلك، فالمصيران يؤديان إلى الهلاك، ولا فرق بين الموت جسديا أو نفسيا فالفضاء فى كلا الحالين مغلق. واستطاع الكاتب أن يستحضر المكان الاستبدادى وكيفية تأثيره على الشخصية والتأثر منها، وهذا يظهر البنية الخارجية للنص خاصة المجتمع المتشكل والسياسة المتخذة فى قمع المجتمع الذى يطالب بالحرية وإسكات الأفواه بعد النطق وسلبها الحرية فى التعبير فكانت خاتمة الرواية خاصة توحى بالمجتمع الذى يحاول الاستبداد الوصول إليه.

المصادر والمراجع

أبوسالم، إيناس محمود. (٢٠٠٤م). اتجاهات القصة القصيرة فى الأردن. ط١. الأردن: مطبعة الروزنا.

بحرى، محمد الأمين. (٢٠١٥م). البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية. ط١. بيروت: كلمة للنشر والتوزيع.

باشلار، غاستون. (١٩٨٤م). جماليات المكان. ترجمه: غالب هلسا. ط٢. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

بورنوف، رولان. اؤله رئال. (٢٠٠٠م). جهان رمان. ترجمه: نازيلا خلخالى. ط١. تهران: لانا.

البياتى، عباس محمد رضا. الجبورى، إيناس كاظم شنباره. (٢٠١٦م). «عتبات البنيوية التكوينية ونقاط انطلاقها». مجلة كلية التربية الأساسية للعولم التربوية والإنسانية. العدد ٢٥. صص ٤٥٥-٤٧٣.

www.SID.ir

Archive of SID

حسين، أحمد جاسم. (۲۰۰۱م). القصة القصيرة السورية ونقدها فى القرن العشرين. ط۱. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
حطينى، يوسف. (۱۹۹۹م). مكونات السرد فى الرواية الفلسطينية. ط۱. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
الحمادى، امتنان عثمان. (۱۹۹۵م). زكريا تامر والقصة القصيرة. ط۱. عمان: المؤسسة العربية للدراسات.
خرشوش، خيرة وزناتى، منال. (۲۰۱٤م). رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير بعنوان «آليات البنيوية التكوينية من خلال كتاب (ظاهرة الشعر المعاصر فى المغرب لمحمد بنيس)». الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية.
الدويهى، أنطوان. (۲۰۱۳م). رواية حامل الوردة الأرجوانية. ط۱. بيروت: الدار العربية للعلوم.
الربيع، آمنة. (۲۰۰۵م). البنية السردية للقصة القصيرة فى سلطنة عمان. ط۱. بيروت: المؤسسة العربية للداراسات و النشر.
الزكرى، عبداللطيف. (۲۰۱۲م). جماليات القصة القصيرة العربية الحديثة و المعاصرة. ط۱. بيروت: مؤسسة الانتشار العربى.
الشامى، حسان رشاد. (۱۹۹۸م). المرأة فى الرواية الفلسطينية (۱۹٦۵-۱۹۸۵). ط۱. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
شرف الدين، ماجدولين. (۲۰۱۰م). الصورة السردية فى الرواية والقصة والسينما. ط۱. الجزائر: منشورات الاختلاف.
الشهيد، زيد. (لاتا). من الأدب الروائى (دراسة و تحليل). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
الصالح، د.نضال. (۲۰۰٤م). نشيد الزيتون (قضية الأرض فى الرواية الفلسطينية). ط۱. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
الظل، حورية. (۲۰۱۰م). الفضاء فى الرواية العربية الجديدة، مخلوقات الأشواق الطائرة لإدوار الخراط نموذجا. ط۱. دمشق: دار نينوى.
عبيد، محمد صابر. (۲۰۱۳م). الذات الساردة (سلطة التاريخ و لعبة المتخيل، قراءات فى الرؤية الإبداعية لسلطان بن محمدالقاسمى). دمشق: دار نينوى.
عدوان، نمر عدوان. (۲۰۰۱م). رسالة «تقنيات النص السردى فى أعمال جبرا إبراهيم جبرا». نابلس: لانا.
عزام، محمد. (۲۰۰۳م). تحليل الخطاب الأدبى (على ضوء المناهج النقدية الحداثية)، دراسة فى نقد النقد. ط۱. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

www.SID.ir

Archive of SID

عزام، محمد. (لاتا). شعرية الخطاب السردى. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
لحمدانى، حميد. ۱۹۹۲م). بنية النص السردى من منظور النقد الأدبى ط۱. بيروت: المركز الثقافى العربى للطباعة.
المحادين، عبدالحميد. (۱۹۹۹م). التقنيات السردية فى روايات عبدالرحمن منيف. ط۱. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر و التوزيع.
معتصم، محمد. (۲۰۰٤م). النص السردى العربى الصيغ و المقومات. ط۱. الدار البيضاء: شركة النشر و التوزيع المدارس.
المقالح، عبدالعزيز. (۱۹۹۹م). دراسات فى الرواية والقصة القصيرة فى اليمن. ط۱. لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.
الموسى، خليل. (۲۰۰٦م). ملامح الرواية العربية فى سورية. ط۱. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
النصير، ياسين. (۲۰۱۰م). الرواية والمكان دراسة المكان الروائى. ط۲. دمشق: دار نينوى.
وتار، محمد رياض. (۲۰۰۰م). شخصية المثقف فى الرواية العربية السورية. ط۱. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
يعقوب، ناصر. (۲۰۰٤م). اللغة الشعرية وتجلياتها فى الرواية العربية. ط۱. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.
يونس، محمد عبدالرحمن. (۲۰۱۱م). مقالة «مقاربات نظرية فى مفهوم الفضاء الروائى و بنيته و دوره السردى فى النص الروائى». مجلة جامعة ابن رشد فى هولندا. العدد الثانى. هولندا.
موقع الجزيرة الإلكترونى (الجزيرة نت). (۲۰۱٤م). مكة المكرمة: قسم الأخبار الثقافية والفنية.

www.SID.ir

Archive of SID

www.SID.ir